قبل أن تنتهي الذاكرة

حين امتدت يدي تلامس يده توقفت، ونظرت إلي أمي أطلبُ العون والمساعدة..كانت الدموع تبرق في عيني أمي التي قاربت علي نهاية العقد الخامس من عمرها..

هبطا معاً من السيارة (اللومازين) كانت تحمل علي شبكتها زكائب بيضاء تكاد تنفجر بما تحوي،وشنطاً بنية وزرقاء مرصوصة في نظام، ربطة الحبل تكاد تفزر ما فيها..توقفت أمامهما وصمت..

اقتربت مني أمي تستند علي كتفي، وتنظر للواقفين.. ارتجفت شفتاها، تجس بشفتيها حرارة جسده الواقف أمامنا، تترقب اقترابه أكثر..كان أحدهما يداعب طقم أسنانه، والآخر يقبض علي علبة خشبية تحت إبطه، بيننا عدة أمتار، منتصف النهار اقترب، كان يسري في نفسي كما أمي، أيقنت أنها ترتجف من هذا اللقاء الذي ألهب مشاعرها، غربته لم تكن بالهينة، طالت وامتدت كثيراً، لم أره منذ خمسة عشر عاماً، كنت في سن الخامسة عندما ترك أمي وحيدة وذهب لبلاد النفط يطلب الرزق، لم يكن الأمر بسهل عليه، لكن قلبه تحجر عندما حرمه إخوته من ميراث أبيه، لم يستطع أن يفعل شيئاً، صعبت عليه نفسه، نصحه الكارهون لهم أن يأخذ حقه بذراعه، لكنه آثر السلامة، وقال:

• ((لن أخسر إخوتي، ولو كلفني ذلك الكثير))..يومها كنت أنت في علم الغيب بلا ملامح ..قالتها أمي..

وهاج أبي في أصقاع الأرض من بلد إلي بلد، والعمر يجر العمر، وزحفت السنون حتي اشتعل الشيب في رأسه.. وبين ثنايا اللهفة، تقترب أمي من الواقفين، كانت ترصد خطواتهما، تمتمت أمي وهي تنظر إليَّ وتقدمني إليهما.. وتنطق بكلمات مرتجفة:

« سَلم علي أبيك يا سالم..»

تحلب ريقي، وتحجر بصري صوبهما، واقتربت منه واحتضنته، وتمتمت بصوت متهدج:

« حمداً لله علي سلامتك يا والدي..»

فسمعت همهمة أمي، ورجفة في جسد الشخص الواقف بجوار أبي، وقال:

« معذرة يا بني،أنا والدك، هذا عمك مهران سائق السيارة»